التأليف المسرحي بالجزائر وأزمة النص

الأستاذة : دليلة زروق
جامعة الجزائر 2

ملخص :

نسعى من خلال مقالتنا إلى التعريف بالنص المسرحي باعتباره النواة الأولى للفن الدرامي ثم نعطي لمحة تاريخية عن بداية التأليف المسرحي بالجزائر ،لننتقل إلى الحديث عن سبب تراجع وتدهور المسرح الجزائري من خلال إجراء مقابلات ميدانية مع متخصصين في الميدان هم : المخرج المسرحي **سعيد نصر الله** ، و المخرج المسرحي **إبراهيم نوال**، الأستاذ الباحث **عبد الناصر خلاف** ، و المخرج الأستاذ **بوكرش الهادي** ،وختاما اتفق الجميع على أن سبب تراجع وتقهقر المسرح يعود إلى البعد عن الميدان المسرحي مطالعة ومشاهدة.

Résumé :

L'objet de notre article se penche sur la définition du texte dramatique en tant qu'il est le premier noyau de l'art dramatique, ensuite on va retracer l'histoire de l'écriture dramaturgique en Algérie puis mettre la lumière sur les principales raisons de recul et de dégradation du théâtre en Algérie en menant des interviews avec des spécialistes dans le domaine à savoir : Le réalisateur SAID NASSRALLAH, le réalisateur IBRAHIM NAWAL, le maitre-chercheur ABDENACER KHELLAF, le réalisateur ELHADI BOUKARCH.

En conclusion. Tout le monde s'est mis d'accord que la négligence et l'éloignement du champ théâtrale. Aussi bien en lecture qu'on vision est la raison du recul et de la dégradation du théâtre.

المسرح من أعرق الفنون و أقدمه ([1]) ،اخترعه المجتمع اليوناني ووضع أسس و قوانين نجاحه، حتى أصبح منبعا أساسيا لمدارس الأدب

[1] – ينظر :الكبير الداديسي : تحليل الخطاب السردي و المسرحي(دراسة تطبيقية) ، دار الراية للنشر و التوزيع ، ط 1 ، 2014 ، ص91.

العالمي ،([2]) لأنه يعكس ويعبر بصدق عن أحوال الناس ومعاناتهم .يختلف عن الرواية بحضوره الجماعي غير الفردي ،وعن الموسيقى بأنه ليس تجريديا وعن الشعر كونه ليس ذاتيا، وعن السينما لأنّ احتكاكه بجمهوره لا يتم عبر الصورة بل هو احتكاك إنسانيّ حيّ . ([3])

سمي بأبي الفنون لميزته التي يتفرد بها ،فهو فن مباشر تؤدى فيه عروض أصبحت خالدة عبر التاريخ الإنساني كمسرحية "أوديب ملكا" لسوفوكليس التي تلقفها علماء النفس والاجتماع والأدباء لغزارة أفكارها وعمقها الإنساني، ولو بحثنا عن سبب نجاحها لوجدنا أنها كتبت نصا قبل أن تؤدى عرضا ،كتبها مبدع له خيال واسع ([4]) استطاع نقل تجربته وإثارة متلقيه .

ان النص هو المادة الخام للعرض المسرحي فبنجاحه ينجح العرض وبفشله يفشل العرض ، لذا وجب الاهتمام بالنص و الاعتناء به باعتباره النواة الأولى للفن الدرامي فالنص" عملية تركيبية معقدة تدخل فيها عناصر عدة منها وعي الكاتب الفنان بقضايا عصره ومجتمعه ومشكلاته ،ومنها إدراكه لطبيعة المادة التي يريد صياغتها وإحساسه بموضعه في إطار التراث الفني للإنسانية."([5])

انطلاقا من هذا ارتأينا ضرورة إعطاء لمحة وجيزة عن بداية التأليف المسرحي بالجزائر ، ثم البحث عن سبب تدهوره وتراجعه في السنوات الأخيرة من القرن الواحد والعشرين ، هل هي أزمة نصوص مسرحية لا ترتقي لأن تمثل ؟أم أنها أزمة مخرجين وممثلين؟ نظرا لأهمية المسالة المتطرق إليها أجرينا مقابلات مع متخصصين في الميدان المسرحي لتحديد السبب الوجيه لهذه الأزمة هم : المخرج المسرحي سعيد نصر الله ، و المخرج المسرحي إبراهيم نوال، الأستاذ الباحث عبد الناصر خلاف ، و المخرج الأستاذ **بوكرش الهادي** .

---

[2] – ينظر: محمود إبراهيم السعدني: تاريخ و حضارة اليونان (دراسة تاريخية أثرية)، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، القاهرة ، مصر 2008، ص 14.

[3] – ينظر:عصام محفوظ :مسرح القرن العشرين – المؤلفون– دار الفرابي، ج1، 2001 ، ص7 .

[4] – ينظر:جروة علاوة وهبي: المسرح في الجزائر، الأزمة والحلول، دار الكاتب للطباعة والنشر، 2013 ، ص91 .

[5] – حفناوي بعلي: أربعون عاما على خشبة المسرح ، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين ، ص 291.

بدأ التأليف المسرحي باللغة الفصيحة ([6]) تزامنا مع زيارة جورج أبيض إلى الجزائر في1921 ،التي جابت شمال إفريقيا وحققت نجاحا معتبرا في طرابلس
و تونس ، ومن بين أهم المسرحيات التي قدمت "الشفاء بعد العناء" ، "خديعة الغرام" وبديع " للطاهر علي الشريف تتناول موضوع الخمرة ومسرحية " الجهلاء المدعون بالعلم" لمحي الدين بشتارزي.([7])
إلا أنها لم تلق رواجا بسبب جهل الشعب الجزائري للغة الفصيحة ،خصوصا وأن المستعمر الفرنسي منع التعليم باللغة الأم محاولا طمس الهوية العربية ومحو الوعي الثقافي العربي لذلك انتقل التأليف إلى اللغة العامية .
بدأ التأليف بالعامية غداة الحرب العالمية الثانية في حدود 1926، و أهم رواده "سلالي علي" الملقب بعلالو ، "رشيد قسنطيني" و "محي الدين بشتارزي" و لقيت عروضهم جمهورا غفيرا ،غير أن نصوصهم بالعامية لم يهتم أصحابها بنشرها ([8]) .
فأصبح المخرجون يعتمدون على الذاكرة الجماعية لتقديم عروضهم.
وفي غضون 2000 كانت هناك محاولات إبداعية مسرحية لكنها لم ترتق إلى مستوى العالمية والعروض معظمها ضعيفة ينقصها البعد الفكري ، فمن النادر أن نجد عرضا تتوفر فيه كل شروط الفرجة التي تحمل معاني ورؤية جوهرية لاهتمامات المجتمع . وقد طرح العديد من المفكرين منذ 2003 و تساءلوا عن سبب تدهورها ،منهم المخرج "عبد الحق بن معروف " الذي رأى أنّ النصوص المسرحية لا تواكب تطورات العالم الراهن ([9]) و المسرح الغربي أصبح يواجه تحولات سريعة الخطى تفرض المواجهة و فرض الذات على الآخر. ([10])

---

[6] – ينظر: المرجع نفسه ، ص249.

[7] – ةينظر: صالح لمباركية: المسرح في الجزائر،دار بهاء الدين للنشر و التوزيع ،الجزائر ط2 ،2007، ص26-44.

[8] – المرجع نفسه : ص80.

[9] – ينظر:جلاوة علاوة وهبي :المسرح في الجزائر ،الأزمة والحلول، دار الكاتب للطباعة والنشر و التوزيع ،2013، ص91 .

[10] –ينظر: طامر انوال: حفريات المسرح الجزائري –المسرح النوميدي في العهد الروماني– دار الكتاب العربي، 2007، ص243 .

أما المخرج المسرحي **سعيد نصر الله**([11]) فانه اعتبر أن أزمة التأليف المسرحي بالجزائر تعود إلى النص ، فمعظم الكتابات المسرحية لا تخضع للمناهج و الأكاديميات العلمية، و تفتقد إلى البناء الهندسي الدرامي من مقدمة و عقدة (الكلايمكس)ثم الحل.
وكذلك غياب الحاسة الذوقية المسرحية عند الكتاب الذين دخلوا إلى المسرح عن طريق الأدب من روائيين و قصاصين وشعراء ، إذ لا فكرة لديهم عن البناء الهندسي للمسرحية ،يكتبون دفقات عاطفية أو انطباعات شخصية ويركزون على سرد الأحداث غافلين عن العلاقات بين الأفراد على الركح ،غير واضعين الاعتبار إلى الفراغ الموجود أو مساحة الخشبة التي يتحرك بها الممثلون ،ولا يمكن إدراك هذه الجوانب إلا بالممارسة الفعلية . لذلك وضع شروطا للكاتب المسرحي حتى يحقق نجاحه ، منها :
أن يكون موسوعي الفكر خاصة في مجال علم النفس وعلم نفس الاجتماع الذي يتناول صراع شخصيات و تضارب أفكار، وأن يكون ملما بالتاريخ القديم والمعاصر، لأن معظم الأحداث التاريخية تسقط على الواقع، فضلا أن يجيد استخدام اللغة التي يكتب بها لتجنب الصياغة الركيكة التي لا تؤدي المعنى المنشود .
كما وجب على الكاتب المسرحي أن يكون ممارسا للمسرح ممثلا أو مخرجا ويمتلك حاسة أدبية واضعا اعتبارات للساحة الركحية بين الممثلين وعلاقاتهم مع بعضهم في مخيلته ماثلا في ذهنه البناء المعماري وعلاقته بالبناء المسرحي .
ومن خلال تجربته كمخرج في الميدان الفني المسرحي بالجزائر اكتشف مواهب ثلاثة كتاب كانت نصوصهم في قمة الجودة هم:"الكاتب محمد بورحلة " ، شيخ الكتاب المسرحيين بالجزائر و"الفنان احمد رزاقة" مارس الفعل المسرحي مخرجا وممثلا وسينوغرافيا إضافة إلى موهبته الأدبية في مسرحيته " الصعود إلى الأسفل "،
و الكاتب الأكاديمي الشاب والممثل وخريج المعهد العالي للفنون الدرامية لبرج الكيفان الفنان "فتحي كافي "الذي يمتلك موهبة أدبية وثقافة موسوعية ،وجمله غنية بالإيحاءات والمعاني،واعتبر باقي النصوص تخضع للتوسط و الضعف، لا تلبث أن تندثر .

[11] – المخرج المسرحي سعيد نصر الله (أجرينا لقاء معه في المعهد الوطني للفنون المسرحية ببرج الكيفان في 07 أكتوبر 2015.

المخرج إبراهيم نوال([12])

رأى المخرج إبراهيم نوال أنه لا توجد أزمة نص ، لأن النص المسرحي يحمل طابع الشمولية والعالمية ، فموليير أو شكسبير أو شيتيكوف باختلاف أعراقهم ، تجربتهم لم تخضع لبيئة جغرافية محددة وإنما كانت شاملة تبرز معاناة الإنسان وهمومه ، والجزائر ليست محصورة في دلالات اجتماعية أو أخلاقية معينة بعيدة عن العالم الأروبي أو الإفريقي أو العربي.

ان إشكالية النص لم تطرح قبل الاستقلال مع الرواد الأوائل عند محي الدين باشتارزي والتوري و مصطفي كاتب ،لأنهم كانوا يقتبسون من الربرطوار العالمي لكل من شكسبير وموليير وبريخت بنسبة كبيرة.

ان التاريخ خلف منذ حوالي اربعمئة سنة أعمالا كبيرة لكتاب مسرحيين كشكسبير الذي له أزيد من ثلاثين مسرحية، ويمكن أن نأخذ أي نص ونخرجه برؤى متعددة، فالرؤية الإخراجية تعطي إضاءة وقراءة متجددة للنصوص ،و العرض المسرحي لا يمكن تكراره حتى وان امتثل لشروط النص وتقيد به، فعرض اليوم ليس هو عرض الغد والإخراج المسرحي للنصوص يتعدد بتعدد الرؤى ، وهذه ميزة تعطي للمسرح ميزة وخصوصية يتفرد بها .

من جانب آخر يمكن للمخرج أن يقتبس من نصوص مسرحية جزائرية برزت على الساحة غير محدودة العدد لكتاب عمالقة مشهورين كالتوري او بن قطاف او محي الدين بشتارزي او علولة او كاكي و الشاب العمري كعوان الذي كتب أزيد من عشرين نصا مسرحيا .

وقد اقتبس العديد من المسرحين من روايات جزائرية كانت في المستوى وترجموها إلى الخشبة عند كتاب أكفاء ككاتب يسين في نجمة ، والشهداء يعودون هذا الأسبوع اقتبسها بن قطاف ، ورويشد اقتبس أعمال الروائي رشيد بوجذرة وترجمها إلى الركح، وترجمت المخرجة المسرحية آيت الحاج حميدة قصة المحول للكاتب ميموني إلى الخشبة واقتبست صونيا أعمال الروائي واسيني الأعرج ...

كما يمكن الاقتباس من التراث الشعبي كاشويق ومن الشعر الملحمي القديم

و المواسم الدينية كالعاشوراء و أسقاس امقاس ([13])، وفي بعض الطقوس التي أصبحت مسرحاللبحث.أما أزمة النص طرحتمنذ السبعينيات من بعض الجامعيين

---

[12]– إبراهيم نوال لقاء معه بالجزائر العاصمة (معرض الفنون) في 12 أكتوبر 2015.

الذين لم يحتكوا بالخشبة الركحية و ضعفت الثقافة المسرحية في الوسط الفكري الثقافي لديهم، لذا وجب انفتاح المسرح على الجامعة والجامعة على المسرح، وذلك بتنظيم ملتقيات علمية يشارك فيها الاكادمين والمسرحيين لنزع الحواجز وتبادل الأفكار والآراء من أجل خلق ثقافة مسرحية جديدة .

و لا بأس على الأدباء أن يكتبوا للمسرح شريطة الالتحاق بالميدان المسرحي لأن الكتابة المسرحية لا تركز على السرد وإنما على الخطاب الدرامي ،ولا يتحقق ذلك إلا بممارسة المسرح بأبعاده وصوره وتقنياته ، فقد خاض الطاهر وطار تجربة الكتابة المسرحية وفشل لعدم إدراكه خصوصية الكتابة المسرحية ولم تنجح من بين أعماله إلا مسرحية الحواة والقصر ، لذا اقترح بديلا لتفادي هذه الأزمة.

1- ضرورة فتح مسارح جامعية على مستوى المؤسسات التربوية و الجامعات وتخصيص نشاطات مسرحية و تحبيب الشباب على مطالعة كتب موليير وراسين ...

2- فتح تخصصات على مستوى الجامعات لدراسة العلوم المسرحية theatrelogie من الجانب الانتروبولوجي و اجتماعي واللساني ....الخ

3- ضرورة مشاهدة العروض المسرحية،لأن المسرح هو تطبيق فوق الخشبة (البراكسيس)لاكتشاف خفايا المسرح و تقنياته .

الأستاذ عبد الناصر خلاف باحث في الفنون المسرحية([14])

اعتبر عبد الناصر خلاف أن التأليف المسرحي بالجزائر بدأ ركحيا عن طريق الممارسة،من منطلق الكتابة الجماعية أو الكتابة الركحية وذلك من خلال الاقتباس من نصوص عالمية و من التراث الشعبي مثل :قصة جحا وألف ليلة وليلة واستمرت هذه الظاهرة إلى غاية الثمانينات على مستوى المسرح الوطني أو المسارح الجهوية .

غير أنّ العروض التي قدمت من التراث الشعبي كانت عامية لم تدون ولم تنشر في المكتبات بسبب النظرة الدونية ، نتج عن ذلك غياب مرجعية ومنطلق الكاتب في المجال المسرحي . وأغلب المسرحيات التي كتبت في التسعينات لم ترق إلى مستوى العرض وظهرت أزمة النص التي تعود إلى الانفصال الموجود بين الممارسين للمسرح والأدباء الذين يكتبون الكتابات الأدبية ولا يرتبطون عضويا مع المسرحية وليس لهم

---

[13]– رأس السنة الجديدة

[14]– الأستاذ عبد الناصر خلاف باحث في الفنون المسرحيةلقاء معه بالجزائر العاصمة (معرض الفنون) في 12 أكتوبر 2015.

اطلاع على العمل المسرحي .حيث حاولت كل من أسيا الجبار وملود فرعون كتابة مسرحيات غلب عليها الطابع الأدبي .

إلا أنه في الفترات الأخيرة أقامت وزارة الثقافة مسابقات من خلال برنامج صدى الأقدام في المسرح الوطني فأثرت مسالة الكتابة المسرحية وكان هناك رسالة موجهة من الممارسين إلى الكتاب للالتحاق بالميدان المسرحي و خلق وعي جديد.

المخرج بوكرش الهادي :([15])

لا توجد أزمة تأليف مسرحي فالنصوص شاملة و متوفرة وإنما أزمة مخرجين غابت لديهم الحاسة الذوقية الأدبية وعدم تذوقهم للنصوص ويفتقرون إلى طريقة إيصال الرسالة إلى الجمهور ،نتج ذلك عن عدم تكوينهم في الميدان المسرحي،فالمسرح افتقر الى رجالات يمتلكون الكفاءات كعلولة وكاكي ومحي الدين باشتارزي ،فقد اقتحم الشباب الميدان الفني من أجل الشهرة و دون امتلاكهم لمواهب فنية تؤهلهم لذلك.

لا أزمة للنص لأن المكتبات مليئة بالنصوص المسرحية العالمية،فالنص المسرحي يمكن إخراجه مرات عدة وبطرق ورؤى إخراجية إنسانية أو اقتصادية أو اجتماعية تختلف بين المخرجين مراعاة لحاجات المجتمع ومتطلباته ،فالمسرح فكر قبل أن يكون فنا.و معظم الممثلين تخلوا عن رسالتهم الحقيقية ببحثهم عن الشهرة، فالممثل لم يعد يستقطب المتفرج بسبب فشله في أداء دوره.

خاتمة:

يتفق النقاد المسرحين سعيد نصر الله ،و إبراهيم نوال ،عبد الناصر خلاف و الأستاذ بوكرش الهادي على أن أزمة التأليف راجعة إلى نقص التأطير في الميدان المسرحي .

ومعظم الكتاب المسرحين يلجون المسرح عن طريق الأدب يدونون عواطفهم الذاتية ويركزون على سرد الأحداث ،جاهلين أبعاد المسرح وصورة وتقنياته ولا فكرة لديهم عن البناء الهندسي للمسرحية ويكتبون جملا حوارية غافلين عن العلاقات بين الأفراد على الركح غير واضعين الاعتبار إلى الفراغ الموجود أو مساحة الخشبة التي يتحرك بها الممثلون.

[15] – الأستاذ بوكرش الهادي: لقاء معه في المعهد الوطني للفنون الدرامية في برج الكيفان 7جانفي 2016.

بينما يذهب الأستاذ إبراهيم نوال والهادي بوكرش إلى أن سبب فشل العروض ليست أزمة نصوص بل أزمة وعي ثقافي بين الجامعة والمسرح، ودعا إلى ضرورة كسر الحواجز بين الوسط الجامعي و المسرح لخلق ثقافة مسرحية جزائرية جديدة .

لذا من الضروري تحسين الميدان الفني من خلال إنشاء مراكز متخصصة في الميدان المسرحي والتحاور بين الممارسين للفعل المسرحي وبين الدكاترة الجامعيين بتنظيم لقاءات علمية وندوات تسهل التشاور بين الطرفين وضرورة فتح شعب خاصة بالنقد المسرحي في الجامعات وتدريب الطلبة على الكتابة المسرحية وخصوصياتها .

تدوين المخطوطات المسرحية المكتوبة بالعامية لأن تدوين النصوص المسرحية له دور فعال في الحفاظ على الإرث الجماعي المشتركوعليه يبقى الأمر والنداء موجها إلى أهل الاختصاص لتدوين ما هو مخطوط من النصوص ووضعها بين أيدي الباحثين لأنها ارث مشترك بين الجميع.